عصر القاضي عبدالوهاب البغدادي وأحواله السياسية والاقتصادية والعلمية ومدى تأثيرها في بناء شخصيته العلمية

أ.د.محمود ياسين احمد*

المقدمة:

شهدت الدولة العباسية تحديات خارجية وداخلية في القرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادي عشر للميلاد، وشملت الاولى الغزو البويهي. والسلجوقي ليلا المشرق الإسلامي والخلافة/ العباسية في بغداد، اما الثانية فشملت انفراط عقد الوحدة السياسية تمثلت في العصر الذي عاش فيه القاضي عبدالوهاب المالكي البغدادي والذي اتسم في حكم البويهيين للعراق من(سنة ٣٣٤هـ– ٤٤٧ م/٩٤٥ م – ١٠٥٥م).

ان العصر الذي ولد فيه عبدالوهاب هذا يعرف عند المؤرخين بالعصر العباسي الثاني بصورة عامة وفي خصوصيته يعرف بالعصر الفارسي الثاني وذكر أنه جاء هذا العصر كحركة مناهضة للنفوذ التركي في بغداد وسامراء والذي أخذ يظهر منذ خلافة المعتصم في سامراء، ثم تنامى وعظم.

وبصورة موجزة ان هذه الدولة نسبت الى زعيم فارسي يدعى بوية من اقليم الديلم جنوب غرب بحر قزوين كانت بدايات وصولهم الى الحكم ان بوية وابنائه الثلاثة المتغلين على منطقة طيرستان والديلم ونجحوا في وصلهم الى حكم اقليم الكرج والتوسع نحو الجنوب بعد مقتل مرداويج سنة٣٢٤هـ/٩٣٠م. واحتلال اقليم الحيال ثم التقدم الى الاحواز(خوزستان)وكرمان وأصبحت عساكرهم مطلة على العراق وجهاً لوجه مع دار الخلافة العباسية. كانت الاحوال السياسية والاقتصادية في العراق قد تدهورت نتيجة النزاع بين الامراء الاتراك حول(امرة الامراء)وسوء الحالة الاقتصادية بسبب عجزهم عن دفع رواتب الجند، وحفظ الامن في البلاد، وشعور أهل العراق بضعف حكم(أمرة الامراء). وبدأ تطلعهم الى احمد بن بوية

* أستاذ دكتور/قسم التاريخ/كلية التربية للبنات/جامعة تكريت.

ليخلصهم من ظلم امراء الاتراك واستبدادهم فطلبوا منه المسير اليهم[١] فاستغل الفرصة وتقدم احمد بن بوية الى بغداد فأحتلها سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥ م.. وبدخوله بغداد نشأت دولتهم ومثلت هذه الدولة الحركة الانفصالية والاستقلالية عن جسم الخلافة العباسية[٢].

بدأت بغداد عاصمة الخلافة العباسية وحاضرة العالم الاسلامي على عهد جديد حل فيه الفرس البويهيون محل الامراء الاتراك حكموا كلاً من العراق وفارس ولم يحصل الخلفاء فيه الا على الاسم بل وصل الامر الى تجريد بعضهم من الصلاحيات والنفوذ واحتفاظ الخليفة في نفوذه الديني، و أتخذ البويهون لقب الملك او ملك الملوك(الشاهنشاه) بدلا من لقب أمير الامراء، وتظاهروا باعلان الطاعة والولاء لمقام الخليفة، وصور لنا بعض المؤرخون مشهد ذلك الولاء من خلال مراسيم مقابلة الخليفة الطائع لامر الله العباسي للامير عضد الدولة البويهي[٣] وأنتهى الامر الى سيطرة أمراءهم على الحكم وتسلطهم على الشعب والخلافة، وكان عصرهم مليئاً بالمنازعات بين امراء الاسرة الحاكمة وملكوهم على السلطة والحكم كما سادت بعض الفترات من سني حكمهم حرب الطوائف والمحلات في بغداد تركت هذه السياسة على فرض حالة من عدم الاستقرار مما نتج عنه ضعف في جانب البناء الحضاري،الى جانب ما تركته تدهور الحاله الاقتصادية ولاسيما الضعف والتدهور في الناحية الزراعية في البلاد فعم في بعض الفترات الغلاء بسبب تعرض المنتجات الزراعية الى الاوبئة والفيضانات(الكوارث الطبيعية) وهذا اثر بدورة في النتاج العلمي للعلماء والمفكرين. وهذا ما سنجده في العصر البويهي الذي يمثل عصر القاضي عبدالوهاب البغدادي المالكي.

١- الاحوال السياسية و أثرها على بناء شخصية عبدالوهاب العلمية: -

---

[١] أحمد مختار العبادي:في التأريخ العباسي والاندلسي.ص١٦٢ دار النهضة للطباعة-بيروت-١٩٧٢.

[٢] شاكر مصطفى:دولة بني العباس:ج١:ص٤١٣.وكالة المطبوعات-الكويت ط١: ١٩٧٢.

[٣] ابو علي احمد بن محمد مسكويه: تجارب الامم ج٤١٧:٣-القاهرة.

ان تحديد سياسة عصر القاضي عبدالوهاب لايمكن تحديد هويتها والتعرف على ابعادها الا من خلال اجواء دراسة شاملة للسياسة العليا للحكم وطبيعتة، ودور التيارات الفكرية التي اسهمت في رسم ابعاد تلك السياسة اذ اصبح للخلفاء العباسيين سياسة تعتمد في دورها على المذاهب الفكرية التي لعبت دوراً فعالاً في تحديد تلك السياسة منذ عهد المأمون حتى حكم المتوكل في سامراء، اذ تبنى خلفاء بني العباس مذهب المعتزلة في سياستهم، والذين أسهموا واضح في تنمية الثقافة ونضح الفكر الاسلامي، اذ كان للجدل الذي أثاروه مع الفرق الاسلامية حول الخلافة له وضوح في ذلك ويتضح الامر هذا من خلال التحولات الفكرية التي جرت في عهد المتوكل عندما قرر العودة الى مذهب السنة(الجماعة) من أهل الحل والعقد ... حتى اذا ما وصلنا الى عصر البويهيين الذين حكموا دار الخلافة في بغداد والذين كانوا على مذهب الزيدية احدى الفرق الاسلامية من الاثنا عشرية والذين كانوا مجوساً من الديالمة الذين اعتنقوا الاسلام عندما دخل الحسين بن علي الاطروشي[١].

ان المهم هنا مناقشة الفكر السياسي وقراءة آثاره على الناحية العلمية والفكرية ومنذ نجاح البويهيون بالسيطرة على بغداد وحكم المشرق الاسلامي تولى الخلافة على عصرهم اربعة خلفاء عباسيين، بدأ من حكم المستكفي الذي عزل سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م وسملت عينيه[٢] وتتفق بداية حكمهم وسنتها مع سنة دخولهم بغداد ثم المطيع(سنة ٣٣٤هـ – ٣٦٣هـ) ثم الطائع(٣٦٣–٣٨١هـ) ثم القادر في

---

١ ينظرا بن خلدون: عبدالرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر: ٤،٤١٩، م/ الاعلمي للمطبوعات– بيروت– ١٩٧١)، خليل السامرائي وجماعته: تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي: ١٣٥(الموصل– ١٩٨٨ م).

٢ ابوالفداء:عمادالدين اسماعيل:المختصر في اخبار البشر:ج٢ ص٩٤ المطبعة الحسينية– القاهرة– ١٣٢٥هـ،بن عبد ربه الاندلسي:ابي عمر احمد بن محمد:العقد الفريدج١٣٠:٥ لجنة التأليف والنشر– القاهرة– ١٩٦٥.

سنة(٣٨١هـ – ٤٢٢هـ)[١]، وهذا العصر يمثل عصر القاضي عبدالوهاب البغدادي الذي ولد ونشأ في بغداد، وتولى مناصبه في العراق(القضاء). خلال سني هذا العصر كما وتمثل العصر البويهي وحكمهم للعراق.

ومن أجل التعرف على سياسة البويهين في العراق يجب التركيز على نقطتين لهما دورهما في الكشف عن طبيعة سياستهم هما:

أ.علاقتهم مع الخلافة العباسية.

ب. موقفهم من الشعب

اولاً. اما علاقتهم مع الخلافة العباسية:

لعب احمد بن بويه دوراً كبيراً في قدرته على مبايعة الخليفة المستكفي بعد دخوله بغداد الذي استقبله استقبالاً حافلاً وقلده منصب امير الامراء ومنحه لقب معز الدولة كما منح اخاه علياً لقب عماد الدولة وأخاه الحسن لقب ركن الدولة، الا أن علاقة احمد بالمستكفي ساءت بعد شهر من حكم بغداد بسبب سوء الظن وانعدام الثقة بينهما. انتهى الامر الى خلعه وبايع ابن عمه المطيع بالخلافة[٢] ثم عمل الامراء البويهيون على اضعاف الخلفاء العباسيين فلم تمض اسابيع كما شاهدنا حتى تم سمل عيني الخليفة وعزله..

وأصبح الخلفاء بعد ذلك العوبةً في أيدي البويهيين يولونهم ويعزلونهم كيفما شاءوا[٣].

ان مجرد قراءة التاريخ الذي يشمل فترات حكمهم يتضح لنا أنهم(امراء هم)، سعوا الى اتباع سياسة هدم الشخصية العربية من خلال تجاوزاتهم على الخليفة العباسي الذي يمثل الرمز الروحي للعالم الاسلامي بل رمزاً للسيادة العربية، فكانت تصرفاتهم تعبر عن اذلال الخلفاء بوسائل مختلفة.

---

[١] العبادي: احمد مختار: في التاريخ العباسي والاندلسي: ١٦٦.

[٢] ابن الطقطقي:محمدبن علي ابن طباطبا:الفخري فيالاداباالسلطانيةص٢٠٤مطبعة الموسوعات– القاهرة ١٣١٧ هـ.

[٣] الفقي:عصام الدين عبدالرؤوف:الدولة العباسية: ٢٨٨.

فمثلاً في سنة ٣٤٤ هـ/٩٤٥ م وفي يوم ٢٢ جمادي الاخره تظاهر الامير معز الدولة بن بويه بأحترام الخليفة المستكفي ولكن الوقت نفسه امر جماعة من جنده بسحب الخليفة بعد ان وضعوا العمامة في رأسه(وسحبوه ذليلاً الى دار معز الدولة وهناك سملت عيناه وسجن الى ان مات).[١] .

بويع الخليفة المطيع لله(٣٣٤ – ٣٦٣هـ) بالخلافة بعد المستكفي وهو الاخر لم يتمتع صلاحياته جميعها فاقدم احمد ابن بويه على تعين وزيراً له كما عين للخليفة كاتب وبهذا جعل الخليفة مستضعفاً واستبد الملوك البويهيون بالسلطة والنفوذ[٢] ووصل الامر: معز الدولة البويهي ان قطع راتب الخليفة المطيع الذي كان مقداره الفي درهم يومياً وتعويضه باقطاع من أراضي البصرة[٣] حتى شكى الخليفة حاله فيما قال(ليس لي منها الا القوت القاصر عن كفايتي وهي في أيديكم ...)[٤] وتعدى الامر في سياستهم مع الخلفاء الى اذلال الخليفة وهو مافعله الملك البويهي بختيار عز الدولة بأجبار الخليفة على بيع ثيابة وانقاض داره وقبض ثمنها[٥] وذلك لحاجة بن بويه لتجهيز حملة ضد الروم كما يقال ونتيجة لهذا العمل خلع نفسه وعهد بالامر الى ابنه الطائع سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م.

وأول هدم تعرضت له شخصية الخليفة الطائع لله هو ما اقدم عليه عضد الدولة البويهي في جمادي الاولى سنة ٣٦٤ هـ/٩٧٤م اذا سقط اسم الخليفة من

---

١ مر ذلك بنا قبل قليل راجع مسكويه:تجارب الامم.ج٢ص٨٦وابن الجوزي:المنتظم: ٦:ص٢٤٢.

٢ ابن العبري:غزيغوريوس الملطي:تاريخ مختصر الدول:بيروت.١٨٩٠م،ابن العماد الحنبلي/شذرات الذهب في اخبار من ذهب:ج٢:٤٩– القاهرة– ١٣٥٠ هـ.

٣ ابن الجوزي:المنتظم:٦:٥٧.

٤ مسكويه: تجارب الامم ج٢–٣٠٧.

٥ ابن تغزي بردي جمال الدين ابو المحاسن:النجوم الزاهرة:٤:٦٦:مصورة عن نسخة دار الكتب ١٦ جزءاً – القاهرة – ١٩٢٩ – ١٩٧٢ م.

الخطبه على منابر بغداد وبقي الحال خمسين يوماً[١]، ويبدوان الضغوط التي احاطت بالملك البويهي(عضد الدولة) اجبرته الى أعادة الخليفة الطائع الى مكانته الرسمية وما أن تقلد بهاء الدولة البويهي الحكم(احمد بن فناخسرو) الذي وصف بالظلم وسفك الدماء في عام ٣٨٠ هـ/٩٩٠م اذ أهين هذا الخليفة وقتل بالاسلوب نفسه الذي قتل به المستكفي بالله[٢] بل وصل الامر الى التمثيل بجسد الخليفة وهو حي(فقطعوا أذنيه وجذعوا أنفه)[٣] وتعدا الامر ليصل الى مشاركتهم الخليفة بالكنى والالقاب(والسكة) الرمز الثاني لسيادة الخليفة فحذفوا اسم امير المؤمنين من وجهها وأكتفوا بذكر اسم الخليفة على النقود في حين ان الحاكم البويهي ذكر اسمه ولقبه وكنيته[٤] وحتى ذكر القاب ولي العهد البويهي وهذه المشاركة وتلك الاعمال تدل على السعي الى نيل السيادة والاستقلال عن الخليفة وتأكيد الوجود الشرعي المزعوم لمركزهم[٥] ومن الامور التي عدت شرعية وضمن المراسيم قرع الطبول على باب الخليفة خمس مرات يومياً أيذاناً للصلاة الا ان ملوك بنو بوية أجبروا الخلفاء على مشاركتهم بهذه المهمة ولخمس مرات يومياً كما فعل الملك سلطان الدولة سنة ٤٠٨ هـ/١٠١٧م وجلال الدولة عام ٤١٨ هـ/١٠٢٧م، وابو كاليجار عام ٤٣٦ هـ/١٠٤٤ م[٦].

---

[١] مسكويه:تجارب الامم:ج٢/٣٢٨.اين خلكان:ابن العباس شمس الدين احمد:وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان:٥٠:٤–٥١(تحقيق د.احسان عباس،دار الثقافة– مطبعة الغريب– بيروت(٨ اجزاء) سنوات طبعه مختلفة –١٩٧٢. ثم ينظر/اليافعي عبدالله بن اسعد:مرآة الجنان وعبرة اليقطان:ج٢ – ٣٨٠ دائرة المعارف– حيدر اباد– الدكن– ١٣٣٨ هـ.

[٢] ابن تغزي بردي:النجوم الزاهرة: ٤: ١٥٧.

[٣] ابن الازرق الفارقي احمد بن يوسف: تاريخ الفارقي: ص٦٢– تحقيق د. بدوي عبداللطيف.المطابع الاميرية القاهرة ١٩٥٩ م.

[٤] خليل السامرائي: تاريخ الدولة العربية: ١٥٥.

[٥] حمدان الكبيسي:اسواق بغداد:٢٢٩– دار الحرية بغداد –١٩٧٩م.

[٦] تحدثت المصادر التاريخية عن ذلك ينظر:الصابي(ابو الحسن الهلال): رسوم دار الخلافة: ٨٢–٨٣(تحقيق ميخائيل عواد– مطبعة العاني– بغداد– ١٩٦٤،ابن الجوزي:المصدر

سعى ملوك بنو بويه على انتزاع التفويض بصلاحيات الخليفة. ويتضح ذلك من خلال سعيهم لان يكونوا أصحاب القرار الاول في الدولة[١] وقد نجح عضد الدولة البويهي حين اصر الخليفة الطائع لله على اعطائه اللواء المذهب الخاص بولاية العهد وهو لواء لايعطى الا لولي العهد[٢].

لجأ ملوك بنو بويه الى سلوك طريق أخر من أجل تعزيز مكانتهم وأذلال الخليفة والهيمنة على الخلافة العباسية عن(طريق الزواج) اذ زوجوا بناتهم للخلفاء العباسيين – مثلما حصل مع عضد الدولة الذي زوج ابنته(شاه باز) للخليفة الطائع وذلك سنة ٣٦٤ هـ/٩٧٤م. وفي سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م. زوج عضد الدولة فناخشرو ابنته الكبرى للخليفة الطائع لله وفي سنة ٣٨٣ هـ/٩٩٣م قد بهاء الدولة للخليفة القادر على ابنته سكينة ولكنها ماتت قبل الزواج[٣] وهكذا تتكرر محاولات بنو بوية للتطلع نحو الخلافة – مما أربك معه الامور وجعلها تضطرب.

السابق:ج٨،ص٣١، ابن الاثير/عزالدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم:الكامل في التاريخ/ج٣ ص ٣٠٥ – دار صادر – بيروت ١٩٧٥.

[١] انظر السامرائي: المرجع السابق: ١٥٦.

[٢] الصابي: المصدر السابق: ٨٣.

[٣] خليل السامرائي/المرجع السابق/١٥٧.

ثانياً. اما موقفهم من الشعب:

فقد عبرت عنها سياستهم القائمة على محاولات أذلال الشعب وتفتيت وحدته واتخذت أشكالاً من السلوك في التعامل مع سكان المدن في بغداد والعراق فعاثوا فسادا وأحلوا المحرمات وهاجموا الناس بمساكنهم في بغداد ولم يكن ذلك معروفاً قبل الغزو البويهي[١] كما لجأ بعض ملوكهم الى زرع الفتنة – عن طريق اثارة النعرة الطائفية بين السكان فنشأت حرب الطوائف والمحلات وافساد العقيدة الاسلامية عن طريق شيوع مبدأ الحلول والتناسخ للارواح وعن طريق تشجيع الاشاعة وانتشار المنكرات وتحليل المحرمات كما ادخلوا مراسيم الاحترام في الدولة العباسية وفي البلاط ومنها عادة تقبيل الارض بين ايدي الخلفاء كما استعان ملوكهم بوزراء معظمهم من الفرس[٢] وفي(اكثر الاحيان صادروا حرية القضاء والحسبة) وجعلا منها وظيفتين تباع وتشترى[٣] وهكذا نرى مساهمة بني بويه في أكثر فترات حكمهم في إشاعة الفوضى والاستبداد في الحكم ابتداءً من التجاوز على صلاحيات الخليفة الشرعية والدينية وانتهاءً بمصادرة حرية الشعوب وتعطيل دوره في البناء الحضاري، ولا شك ان الناحية العلمية والنتاج الثقافي تأثر في هذه السياسة ولما كان هذا العصر ـ فترة الحكم البويهي للعراق والمشرق الاسلامي ـ يمثل عصر القاضي عبدالوهاب البغدادي.فانه اسهم في تحديد الانتاج العلمي وضعف العطاء الحضاري وعلى الرغم من هذا الضعف بقي العلماء يؤدون دورهم العلمي لتستمر حضارة الاسلام بما فيها حضارة العراق.

لم يسلم العراق في هذا العصر من وقوعه تحت تطلع الفاطميين من الغرب عن طريق الشام بمصر اذ ظهرت عند بعظهم الرغبة في حكم العراق

---

[١] ابن الاثير: المرجع السابق ج٨/٤٤٩، ابن خلدون/العبر:ج٤/٤٢٤.

[٢] السامرائي/المرجع نفسه/١٥١.

[٣] ابن كثير:اسماعيل بن عمر/البداية والنهاية/ج١١/٢٢٨،ابن تغري بردي/المصدر السابق ج٢/٣٢٨.

وضمه الى نفوذ الخلافة الفاطمية الا ان فكرتهم هذه جاءت متأخرة، ولكن الملاحظ في كتابات بعض المؤرخين تطرح الفكرة التالية:-

وهو انه معز الدولة فكر في مبايعة الخليفة العلوي في مصر المعز لدين الله الفاطمي بدلاً من الخليفة العباسي واشار عليه بعض مستشاريه العدول عن ذلك والابقاء على الخلافة العباسية[١] ان ماسبق لا يعني ان البويهين اوغلوا في التخلف العلمي والابداع الثقافي ولم يشجعوا العلوم والمعارف بل ان الحياة العلمية والادبية ازدهرت على عهدهم وسيأتي الكلام عنها لاحقاً. وهذا ما يكشف عن اثر السياسة العامة التي اتبعها ملوك بنو بويه مع العلم والعلماء ولاسيما عضد الدولة، الا انها بصورة عامة كانت سياستهم عنصر طرد وهجرة للعلماء من دار الخلافة العباسية الى مصر والشام وهذا ما حدث للقاضي عبدالوهاب البغدادي المالكي.

٢ – الاحوال الاقتصادية على عصر عبدالوهاب البغدادي

كانت ولادة عبدالوهاب البغدادي ونشأته في وسط ظروف سياسيه معقدة بما فيها التسلط البويهي على الخلافة والشعب واستبداد ملوكهم بالسلطة والحكم ولم يبق للخليفة سوى السلطة الدينية(الروحية) تركت هذه الظروف السياسية اثارها على الاحوال الاقتصادية والعلمية والاجتماعية.

ان الاحوال الاقتصادية اتسمت بالتدهور والضعف بعض الشيء في العصر البويهي والمادة التاريخية حولها تكاد تنعدم الا ما خلا من بعض الاشارات حول السياسة الاقتصادية التي اتبعها البويهين في بعض الكتب التاريخية ومن سياستهم في التجارة امر معز الدولة البويهي في سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م بغلق الاسواق في ايام معينة ومنع بعض اصحاب الحرف مزاولة اعمالهم[٢] ويعلق على هذا بعض المؤرخين المحدثين بقوله(ويهدف الغزاة من هذا الى انضاج التكتلات والمحاور في الدولة العربية وانشغالها بالخلافات الفرعية التي تزيد من تفتيت وحدة

[١] ابن الاثير/المصدر السابق ج٦/٣١٥، ابن كثير/البداية والنهاية ج١١/٢١٢.

[٢] ابن الاثير/المصدر السابق ج٦/٣١٥،ابن كثير/البداية والنهاية ج١١/٢١٢.

الشعب[١] ونتيجة لهذه السياسة العنصرية عم الخراب مدينة بغداد[٢] وانهار الصرح الاقتصادي المزدهر للعراق وتفشت المجاعات واندثرت فروع الانهار وانكسرت السدود، وارهق الشعب بالضرائب فشاع الفقر وتفككت الاخلاق وتفشت الجرائم وتمزقت صفوف الامة ووحدتها[٣] ويكفي ان نشير الى بعض جوانب الضعف في السياسة الاقتصادية التي عمت سياسة البويهين والتي عاش في كنفها القاضي عبدالوهاب البغدادي اذ عبرت جماهير بغداد عن رفضها لسياسة البويهيين المالية وارتفاع الاسعار وذلك في عام٣٧٣هـ/٩٨٣عندما هاجموا الوزير الحسين ين احمد بالحجارة[٤]،وعندما حاول صمصام الدولة فرض ضريبة العشر سنة ٣٧٥/٩٨٥م على المنسوجات فغضب الشعب واجتمعوا في جامع المنصور وكاد الموقف يتحول الى ثورة شعبية لولا ان اذعن صمصام الدولة لارادة الشعب والغى الضريبة[٥]، ان سياسة البويهين الاقتصادية لم تستند على التخطيط والعناية في البلاد التي حكموها فاساؤوا الاستعمال الاقتصادي اذ فرضوا الضرائب الباهضة على المنسوجات(كضريبة العشر)[٦] وعلى المواد الغذائية وبعض المهن الحرة حتى وصل الامر بالفقهاء والشعب الى يطالبوا السلطة في الغاء ضريبة الملح[٧] ومما يزيد الحالة سوءاً هو خراب السدود وقنوات الري والجسور الى جانب حدوث الاوبئة والفيضانات وانتشار الامراض الى جانب ذلك عبث الجند في القرى والارياف مما جعل الفلاحين يتركون قراهم فارتفعت الاسعار وعدمت الاقوات[٨] كما كثرت في

---

[١] ابن الاثير/الكامل ج٨/٥٤٩.السيوطي/جلال الدين: تاريخ الخلفاء/٤٠١.

[٢] السامرائي:المرجع السابق/١٥٨.

[٣] ينظر ابن الجوزي/مناقب بغداد/٣٢ نقلاً من السامرائي ص١٥٨.

[٤] راجع المسعودي/مروج الذهب ج٤/٣٧١.

[٥] الروذراوري ابو شجاع/ذيل تجارب الامم ج٣/ص ٨٥.مطبعة التمدن– القاهرة– ١٩١٦.

[٦] ابن الاثير/المصدر السابقج٩ ص٣٦.السيوطي/المصدر السابق ص٤٠٩.

[٧] الصابي/تاريخ الصابي ص٢٠٤.

[٨] ابن الاثير/الكامل ج٩ ص٢٠٤، ٤٠٧.

عدد من السنين الرياح والعواصف[١] وعمت الحرائق في بغداد كالتي حصلت سنة ٤٠٠ هـ و ٤٠٧ هـ هذا كله ترك اثاره في الناحية الاقتصادية فعم الخراب والدمار في العراق كتلك التي حصلت لبغداد في عهد جلال الدولة من فتن طائفية واحرقت اسواقها[٢] ان اهم ما في البحث الناحية الاقتصادية واثرها في الناحية العلمية ونستطيع ان نقرأ احدى جوانب تلك الاثار من خلال ما اشار اليه القاضي عبدالوهاب البغدادي نفسه حين ودع بغداد خارجاً الى مصر فقال لاهل بغداد:(لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداة وعشية ما عدلت ببلدكم امنية)، وحال لسانه ينطق بالشعر حول بغداد. في وقت حدثت المجاعات فوقع الغلاء مما اضطر الناس الى هجرة بغداد والعراق والخروج الى اقاليم الدولة الاسلامية الاخرى، وكان من بينهم القاضي عبدالوهاب. ومن اثار الناحية الاقتصادية في الاحوال العلمية في عصره هي:-

تفسير سبب خروجه على وجهين: ان سبب خروجه هو ما حصل له من ضائقة مالية(لاضافته) وقد قدم له الخطيب البغدادي في ترجمة له نبذة موجزة: هو عبدالوهاب بن علي بن نصر بن احمد بن الحسين بن هارون بن مالك ابو محمد المالكي[٣](كتبت عنه وكان ثقة ولم نلق من المالكيين احداً افقه منه) ... تولى القضاء في بباداريا وباكسيا. خرج في اخر عمره الى مصر ومات فيها في شعبان سنة ٤٢٢هـ/[٤] والوجه الثاني هو حصوله على مال كثير من المغاربة بعد خروجه من بغداد الى مصر[٥] وزاد في ترجمته سبط بن الجوزي في كتابه(مرآة الزمان) الفقيه المصنف[٦] كما ذكره ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق(بانه قدم دمشق

---

١ ابن الجوزي/المصدر السابقج٨ ص ٧٨.

٢ المصدر السابق ج٨ ص ٨٩.

٣ ابن خلدون/المصدر السابق ج٤ ص٤٨١.

٤ الخطيب البغدادي/تاريخ بغداد م١١/ص٣١.

٥ المصدر السابق م١١، ص ٣١- ٣٢.

٦ ابن الجوزي/المنتظم ج٨ ص٦٠.

سنة ٤١٩ هـ مجتازاً الى مصر. فعبر على المعرة على علي بن العلاء(ابو العلاء المعري). كما ترجم له اخرون من المؤرخين.

٣-الاحوال العلمية واثرها على شخصيته:

نشطت وازدهرت الاحوال العلمية في الفترة التي سبقت عصره ونتلمس ذلك من خلال تعدد الثقافات واختلاف التيارات الفكرية الى جانب اسهام تشجيع الخلفاء للعلم والعلماء والرحلة في طلب العلم وحرية الفكر في العالم الاسلامي والترجمة وما قدمته من خدمة مباشرة في تطور العلم ونمو الثقافة وازدهار الفكر وكان لقيام الدول الاسلامية اثر كبير في ذلك التطور والنمو لما تركته من اثر كبير في نشاط الحركة العلمية – مثلما كان للفرق الاسلامية دور اخر في ذلك التطور والنمو، ولاسيما الجدل والنقاش بين هذه الفرق لتحقيق اهدافها السياسية والدينية وضمان شرعيتها واحقيتها في الحياة ولاسيما الخلافة الاسلامية.

عد القرن الرابع الهجري عصر ولادة ونشأت القاضي عبدالوهاب البغدادي وفترة من فترات تلقيه العلم، فهي فترة بل عصر نشاط علمي وازدهار فكري و نضج حضاري بدليل انتشار مراكز العلم في العالم الاسلامي. فضلا عن بغداد ولدت قرطبة الاموية، وغزنتة القزنوية والقاهرة الفاطمية ... الخ.

ومع تعدد مراكز العلم ونشاط الحركة العلمية اتجه الناس الى دراسة العلوم العقلية والنقلية، فبرز العلماء ومن بينهم عبدالوهاب الذي تخصص بالعلوم النقيلة فاكسبته حياة علمية اهلته بان يتقلد القضاء في عدد من مدن العراق الا ان ضيق العيش فرض عليه ان يهجر بلاده ووطنه بغداد الى مصر. ومع قلة المادة التاريخية[١] حول الاحوال العلمية في البيئة الاجتماعية ومجتمعه بغداد[٢] والتي عاش فيها القاضي عبدالوهاب نرى بانها لا ترسم صورة كاملة عن النشاط العلمي.كان لجهود عضد الدولة اثر كبير في ازدهار الحركة العلمية اذ انه اجرى

[١] سبط ابن الجوزي ابو المظفر/مرآة الزمان/ص٣٥٥.

[٢] المصدر السابق/ص٣٥٦.

الاموال على الفقهاء والمحدثين والمفسرين ...الخ[١] وبالغ في اكرام العلماء وكان من سياسته ان يقربهم. ووضعتت الكتب على عهده في الطب والنحو والصرف وفي الفقه وعلم الكلام وعلم النجوم فضلا عن ان عقد الدولة كان شاعراً قرب اليه الشعراء كالمتنبي[٢] فضلا عن تشجيع وزراء الدولة للعلم لانهم جمعوا بين الرئاسة والقلم(وعملوا على ازدهار الحركة العلمية في البلاد)[٣].

ان ما سبق لا يمثل كل الحقيقة التاريخية لاننا قد نقع بين المتناقضات في الاستنتاج بالحكم واستنباط الحقيقة ولاسيما بعد تعرفنا على حياة عبدالوهاب البغدادي الذي هجر بغداد وخرج منها بسبب ضائقة مالية وتبقى الحقيقة غير واضحة الا بعد التأكد من الصورة الكاملة حول الحياة العلمية والاحوال الثقافية في الدولة العربية الاسلامية في بغداد والتي تمثلها الخلافة العباسية. وعليه فان عصر البغدادي كان عصر ضعف شهدت الخلافة العباسيية اسوأ ايامها في عهد نفوذ البويهين فهم شيعة امامية يخالفون مذهب الخلفاء العباسين السنة الذين احتفضواعلى الرغم من سلطانهم المسلوب بحق تولية العهد لابنائهم. والحقيقة الاخيرة ان الخلافة العباسية زال سلطانها في عهد بني بويه التي عدت اشد عصور الخلافة ضعفاً. وهكذا نرى ان الاحوال العلمية اثرت في حياة عبدالوهاب البغدادي وعلى بناء شخصيته العلمية مما جعله عالما وقاضياً وشاعراً يشار له في البنان ويخلده التاريخ.

---

[١] يكاد ينفرد ابو شجاع الروذ راوري في كتابته عن البويهين ولاسيما عضد الدولة الذي شجع العلم والعلماء وكتب عن ازدهار الثقافة في العالم/ينظر ابو شجاع الروذ راوي/ذيل كتاب تجارب الاممج٣ص٦٨–٧٠(نشر امد روز).

[٢] راجع ابن خلكان/وفيات ج١ ص٩٥(اورد ان عضد الدولة كلف ابا اسحاق الصابي تأليف كتاب في اخبار الدولة البويهية ولما لم يجد ما يتفق وامجاد ومفاخر البويهين عمد الى تلفيق واصطناع الاخبار المزيفة عنهم.

[٣] ابن الاثير/المصدر السابق ج٨/ص٧٠٤ –٧٠٥.

Abstract

Judge Abdul Wahab Al-Baghdadi, his political, economic and scientific conditions and the extent of their influence in building his scientific personality

Prof.Dr.Mahmood Y. Ahmad*

The present study sheds light on very important age in the history of Baghdad, namely, the Abbasid age. In the period the judge Abdulwahab Al-Baghdadi was born. In this paper we try to investigate the political , economic and scientific affairs of this period. Similarly, it also tries to study the influence of these affairs on the mentioned person, i.e. the judge Abdulwahab Al-Baghdadi.

*University of Tikret /College of Education for Girl / Dept. of History.